



«مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ»

عظمة القرآن.. حواجز مائية تفصل البحار



آيات الإعجاز: قال الله تعالى: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ، فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكَمَا تُكَذِّبَانِ، يُخْرَجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» (الرحمن: 19-22).

وقال عز وجل: «وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا» (النمل: 61).

وقال سبحانه وتعالى: «وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا» (الفرقان: 53).

التفسير اللغوي: قال ابن منظور في لسان العرب مرج: له معنيان، الأول: الخلط، والثاني: مجيء وذهاب واضطراب.

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: الميم والراء والجيم أصل صحيح يدل على مجيء وذهاب واضطراب.

وقال الزجاج: مرج: خلط يعني البحر الملح والبحر العذب ومعنى لا يبغيان أي لا يبغي الملح على العذب فيختلط.

أجاج: ماء أجاج أي ملح وقيل من وقيل شديد المرارة وقيل الأجاج: الشديد الحرارة.

قال الله عز وجل: «وهذا ملح أجاج» وهو الشديد الملوحة والمرارة مثل ماء البحر، الأجاج بالضم الماء الملح الشديد الملوحة، وأجيج الماء: صوت انصبابه.

الحجر: الحجر والحجر هو المنع والتضييق، قال ابن منظور: «لقد تحجرت وأسعا» أي ضيق ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك.

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: يسمى العقل حجرا لأنه يمنع من إتيان ما لا ينبغي.

فهم المفسرين

(أ) الحاجز بين بحرين: لقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن الحاجز الذي يفصل بين البحرين المذكورين هو حاجز من قدرة الله تعالى لا يرى، قال الإمام ابن الجوزي عن البرزخ هو: «صانع من قدرة الله لا يراه أحد» (زاد المسير 90/6) وقال بذلك أيضا الزمخشري في (الكشاف 96/3)، والقراطي في تفسيره (جامع الأحكام 58/13)، والبقاعي في (نظم الدرر 13/406).

(ب) حاجز بين نهر عذب وبحر مالج: قال الطبري: يعني بالعذب الفرات، ومياه الأنهار والأمطار وبالملح الأجاج: مياه البحر وإنما عني بذلك أنه من نعمه على خلقه، يخلط ماء النهر العذب الفرات بماء البحر الملح الأجاج ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته وإفساده إياه بقضائه وقدره.

«وجعل بينهما برزخاً»: يعني حاجزاً يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر.

«وحجراً محجوراً»: يقول: وجعل كل واحد منهما حراماً محرماً على صاحبه أن يغيره.

وعين مجاهد قال: أي حاجزاً لا يراه أحد.

«وجعل بينهما برزخاً» قال مجاهد: البرزخ أنهما يلتقيان فلا يختلطان و«حجراً محجوراً» أي لا تختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا فلا يبغي أحدهما على الآخر.

ونشير إلى أنه لم يتيسر للمفسرين الإحاطة بتفاصيل الأسرار التي قررتها الآيات لأنها كانت غائبة عن مشاهدتهم، ومن هنا يفهم تعدد أقوالهم في تفسير لفظ «مرج» ولفظ «البرزخ» ولفظ «حجراً محجوراً» وذلك بسبب نقص العلم البشري طيلة القرون الماضية.

مقدمة تاريخية: لقد دل

مياه البحار، ومياه منطقة المصب).

– لا يوجد لقاء مباشر بين ماء النهر وماء البحر في منطقة المصب لوجود حاجز مائي يحيط بهذه المنطقة ويفصل بين المائين.

– تعتبر منطقة المصب حجراً على الكائنات التي تعيش فيها ومحجورة عن الكائنات التي تعيش خارجها.

التفسير العلمي

لقد اكتشف العلماء في الأربعينيات من القرن العشرين أن البحار المالحة بحار مختلفة من حيث

الترتيب والخصائص، ولم يكن ذلك إلا بعد أن أقام الباحثون المحطات البحرية لتحليل عينات من مياه البحار. فقاوسا الفروقات في درجة الحرارة ونسبة الملوحة ومقدار الأكسجين في مياه البحار في كل المحطات فأدركوا أن البحار مختلفة، ثم توصل العلماء إلى اكتشاف الحواجز (البرازخ)

المائية وهي على نوعين: النوع الأول: الحاجز بين بحرين مالحين: «لقد اكتشفت الدراسات الحديثة أن البحار رغم أنها تبدو متجانسة إلا أن هناك فروقات كبيرة بين كتلتها المائية وفي المناطق التي يلتقي فيها بحران مختلفان يوجد حاجز بينهما. هذا

أن البحار رغم أنها تبدو متجانسة إلا أن هناك فروقات كبيرة بين كتلتها المائية وفي المناطق التي يلتقي فيها بحران مختلفان يوجد حاجز بينهما. هذا يعني أن كل بحر له حرارته وملوحته وكثافته الخاصة به». (أسس علم البحار، دافيس، صفحة 92-93).

فبين مياه البحر الأبيض المتوسط الساخنة والمالحة حواجز عند دخولها إلى المحيط الأطلسي ذي المياه الباردة والأقل كثافة. كما توجد مثل هذه الحواجز بين مياه البحر الأحمر ومياه

الذي ينتقل إليه دون أن يؤثر على تلك الخصائص. إذ إن هذه الحواجز تحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة والملوحة والأحياء المائية والحرارة وقابلية ذوبان الأكسجين في الماء.

ثانياً: الحاجز بين نهر عذب وبين بحر مالج:

1 – كيفية اللقاء بين ماء النهر وماء البحر (وماء المصب):

لقد شاهد الناس منذ القدم مياه النهر تصب في البحر، كما لاحظوا أنها تغدق بالتدرج لونها المميز وطعمها الخاص كلما تعجقت في البحر.

ولكن مع تقدم الاكتشافات العلمية قام العلماء بدراسة قياس درجات الملوحة وعينات من الماء حيث يلتقي النهر بالبحر. فعملوا على قياس درجات الملوحة والعذوبة بأجهزة دقيقة، وقياس درجة الحرارة والكثافة، وجمع عينات من الكائنات الحية ثم القيام بتصنيفها، وتحديد أماكن وجودها، ودراسة قابليتها للعيش في البيئات النهرية والبحرية، ثم وصلوا إلى أن المياه تنقسم إلى ثلاثة أنواع هي:

أ – مياه الأنهار وهي شديدة العذوبة.

ب – مياه البحار وهي شديدة الملوحة.

ج – مياه في منطقة المصب: مزيج من الملوحة والعذوبة تفصل بين النهر والبحر، فتزداد الملوحة كلما قربت من البحر، وتزداد العذوبة كلما قربت من النهر.

وهذا ما قرره القرآن الكريم حيث وصف البحرين (العذب والمالح) بأوصاف لم يكتشفها العلماء إلا في

القرون الأخيرة. فماء النهر وصفه بقوله «عذب فرات» والماء العذب أي شديد العذوبة وبهذا الوصف أي (الفرات) خرج ماء المصب الذي يمكن أن يقال عنه بأنه عذب إلا أنه ليس فراتاً.

أما ماء البحر فوصفه القرآن بأنه ملح أجاج، فالماء المالح هو ماء البحر وأجاج أي شديد الملوحة. وبالتالي لا ينطبق الوصفان على ماء المصب.

أما ماء المصب: فهو مزيج بين ماء النهر العذب الفرات وماء البحر الملح الأجاج، ووصفه القرآن بقوله: «مرج البحرين» – أي – (النهر والبحر).

2 – الحاجز المائي المحيط بمنطقة المصب:

لاحظ العلماء أيضاً وجود حاجز مائي يحيط بمنطقة المصب ويحافظ على خصائصها المميزة لها. بل إن ماء النهر وماء البحر لا يلتقيان مباشرة في منطقة المصب بالرغم من حركة المد والجزر وحالات الفيضان والانحسار، وذلك لوجود الحاجز المائي المحيط بمنطقة المصب الذي يفصل بينهما دائماً، لكن في مقابل عدم وجود لقاء مباشر بين النهر والبحر لاحتواها وجود امتزاج بطيء مع وجود المنطقة الفاصلة من مياه المصب، والحاجز المائي الذي يحيط بها. وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود هذا الحاجز بقوله «وجعل بينهما برزخاً»، والبرزخ كما قال علماء التفسير هو حاجز يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر، قال مجاهد: يلتقيان فلا يختلطان.

والذي نستخلصه أن العلماء لاحظوا الفرق الجوهرى الذي أشار إليه القرآن الكريم بين الحاجز الذي يفصل بين النهر والبحر وبين الذي يفصل بين البحار المالحة.

فالأول: منطقة المصب فيه تعد منطقة حجر على الكائنات الحية الخاصة بها ومنطقة محجورة عن الكائنات الخاصة بالبحر والنهر، وهو ما وصفه البيان الإلهي في سورة الفرقان حيث قال: «وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً».

أما الحاجز الثاني: الذي يفصل بين البحار المالحة فإنه لا توجد فيه خاصية منع الكائنات الحية من الخروج أو الدخول إليه، وهذا هو الذي تحدثت عنه آيات سورة الرحمن فقال جل ذكره: «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ، فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكَمَا تُكَذِّبَانِ، يُخْرَجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» فليس هناك وصف «حجراً محجوراً» لهذا البرزخ، فنجح معظم الكائنات الحية تنتقل بين البحرين بكل سهولة وذلك لأن الاختلاف في درجة الملوحة ليس شديداً حتى يمنع انتقالها من بيئة بحرية إلى أخرى.

وهنا يقف عقل الإنسان متعجباً أمام بيان الإعجاز القرآني وأمام هذا النظام المبتدع الذي جعله الله تعالى لحفظ الكتل المائية المتلقية من أن يفسد بعضها خصائص البعض الآخر... «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها».

مراجع علمية

ذُكرت الموسوعة البريطانية: «إن مصبات الأنهار هي أسكن حيث تتلقى الأنهار بالبحر، وكذلك يمكن أن تعرف بأنها مناطق تخفيف التركيز الحسوب للماء المالح مع الماء العذب بشكل معتدل، إن مصبات الأنهار من الناحية البيولوجية أكثر إنتاجية من النهر أو البحر لأن هذه المصبات لديها نوع خاص ومميز من دورة المياه التي تحبس المغذيات النباتية وتحت على الإنتاج الأولي، والمياه العذبة كونها أخف من المياه المالحة، تؤدي إلى تشكيل طبقة فاصلة بحيث تنطف على سطح المصب، في الحدود بين المياه العذبة والمياه المالحة، يوجد هناك كمية من الاختلاط تسبب من تدفق المياه العذبة فوق المياه المالحة وبسبب الانحسارات والمد والجزر. وإن أي اختلاط زائد يمكن أن يتسبب من وقت آخر من جراء الرياح القوية والأمواج الداخلية التي تتوالد على طول السطح البيني (سطح بشكل حاجزاً بين جسمين) بين المياه العذبة والمالحة».

كما ذكرت في مكان آخر: «إن الملوحة في المحيطات ثابتة ولكنها تتغير على طول الشاطئ عند تموه المياه المالحة مع المياه العذبة في نهاية الحداول والأنهار، هذه المياه الأسنة تشكل حاجزاً فاصلاً بين الكائنات الحية البحرية والنهرية».

وجه الإعجاز

وجه الإعجاز في الآيات القرآنية الكريمة هو دلالتها على وجود حواجز بين البحار المالحة يسبح باختلاط بطيء، بحيث تفقد كمية المياه المنطلقة من بحر لآخر خصائصها وتكتسب خصائص البحر الذي دخلت فيه. كما دلت على أن البحار والأنهار تلتقي وتتمازج مع وجود حاجز يمنع الاختلاط الكامل بينهما، وهذا ما كشف عنه علماء البحار في القرن العشرين عن منطقة المصب بين النهر والبحر والحواجز البحرية بين بحرين مختلفين.